



جـ ————— وهرة

53

البطل العظيم



فخار ان عجيب



- ❖ سلسلة مليئة بالآيات والتشويق
- ❖ أعجب الرحلات والمفاتيح .
- ❖ تجمع بين المتعة والمعرفة .
- ❖ لا غنى عنها في الرحلات والبيت
- والموصلات

البطل العظيم

- تري من هو ذلك البطل العظيم...؟

- ولماذا أطلق عليه بطل عظيم...؟

- وما الذي دفعة كي يكون بطل عظيم؟

- هل تريد أن تكون مثله؟

اقرأ مغامرة مؤمن مع البطل العظيم كي
تجيب على هذه الأسئلة.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية
تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ (٠٣)

سلسلة
مغامرات مؤمن

53

جوهرة
البطل العظيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

رقم الإيداع ٣٨١٨ / ٢٠٠٢

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرة إلى عمل سينمائي أو تليفزيوني أو إذاعي أو مسرحي أو شرائط فيديو أو (C.D) إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر



شركة الأصل للتجهيزات الفنية

عناصر شماغ وشركاه

ت: ٥٧٦١٩٦٢

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع ٢ ش منشأ - محرم بك ت، ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس، ٥٩٠١٦٩٥

جوهرة

البطل العظيم

علاء الدين طعيمة

الإشراف العام: أحمد خالد شكرى
رسوم: عبد الرحمن بكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

□ هذا الغلام المغامر .. ينطلق عبر البلاد .. يتخطى
كل الحواجز .. يقاوم كل عائق .. يتحدى كل خطر ..
جرىء .. شجاع .. ذكى .. مؤمن ، واسمه مؤمن .

ما يقرب من عام وهو يتجاوز مغامرة إلى أخرى ،
بدون راحة أو كلل ، ولم يعد إلى مصر منذ ذلك
الحين .. حتى أنه لم يخطو الأراضى العربية فى أثناء
مغامراته الأخيرة .. وكان يشعر فى قرارة نفسه بالتقصير
تجاه بلاده وفى نفس الوقت تعثره الأشواق لها .

فقد أوحشته الأرض الطيبة ، وأمه وإخوانه من
المسلمين هناك . وكان يحس بروح المغامرة تملكه ،
وبسبب خبرته الطويلة السابقة أدرك أن هذا الإحساس لا
يكذب .. لذا فهو يتوق للعودة و ينتظر فى نفس الوقت
مغامرة جديدة يشعر أنها ستوافيه على عجل .

كان يسير فى بلاد بعيدة تحمله الأرض وتضمه
الأمواج وتتقاذفه . . وبين كل حين وحين يلوح له الصقر
عبدالله فى السماء يعود إليه بعد (سرحة) طويلة فى
الفضاء ليسليه ويواسيه فى وحدته، ثم يتركه ويعود
للحرية، فإذا غاب وطال الغياب عاد لصاحبه الذى يحبه
ليرى حاله ويرافقه بعض الوقت .

وها هو عبدالله يلوح فى الأفق، يشق الضباب
ويحجب قرص الشمس، فيفرح به مؤمن ويمد ذراعه
حتى يحط عليها من طيرانه . . فيقبله ويحدثه . . لكن
فى هذه المرة كان عبدالله مسرعاً على غير عادته . .
مكفهرًا متوترًا . . كان يحمل إلى مؤمن خبرًا غريبًا .

- عبدالله . . حمدًا لله على سلامتك . . لماذا غبت عنى
هذه المرة؟

التقط عبدالله أنفاسه وقال :

- أحطت بما لم تحط به وجئتك من مصر بخبر يقين .

- وما هو؟

- كنت أمر فوق البحر فى أعلى ما يمكن لأرى البلاد
الحبيبة من بعيد ويسعد ناظرى بها . . فرأيت سواداً
عظيماً وغباراً يتعلق فى الهواء يزيد ويزيد . . فلم
أصبر على ذلك . . فمضيت أضرب الهواء بجناحىَّ
نحو بلادك، فلما وصلت رأيت حشوداً كثيرة
وجنوداً كثيفة .

- جنود . . وحشود؟

- نعم . . طرتُ نحوهم وأظن أن الأعداء دخلوا البلاد،
لكنتى عثرت على راية المسلمين تلوح فى الآفاق

وسمعت قبل وصولي صوت الأذان فحمدت الله
وأدركت أن الجنود جنودنا وأن الحشود لقواتنا .
فارتاح قلبي وغدوت أستطلع حقيقة الأمر .

- ها . . وماذا وجدت يا عبدالله؟

- وجدت الأمة قد اجتمعت على تخليص المسجد
الأقصى من أيدي الفرنجة . . وأن السلطان الناصر
صلاح الدين قد أرسل إلى المصريين يطلب منهم أن
يحشدوا الرجال ويتدججوا بالسلاح والعتاد ويقطعوا
الصحراء حتى يوافوه في الشام، وينضم كل من هو
تحت راية الإسلام إلى الجهاد من أجل إعادة المسجد
الأقصى إلى المسلمين .

كان مؤمن جالساً يرتاح وأمامه عبدالله يحكى . .
فلما سمع الكلام انتفض كالملدوغ وهب واقفاً وقال

بصوت يملؤه الحماس:

- ما هذا؟! إنه لشيء عظيم.. شيء غير متوقع..
 مالى أجلس هكذا.. يجب أن ألحق بهم يا
 عبدالله.. لابد أن أكون معهم.. فهذا الشرف إذا
 حل بزمان.. فقد خاب وخسر.. خاب وخسر..
 خاب وخسر من لم ينله أو يحظى به.. مادام يحيا
 فيه ويستظل بسحابته هيا يا عبدالله.. هيا.
 ظل عبدالله واقفاً مكانه دون حراك ثم قال
 باستغراب:

- هيا ماذا؟.. هل تعرف كم من الأميال تفصلنا عن
 مصر الآن؟ كن هادئاً حتى تفكر فى كيفية تطبيق ما
 تقول «هيا يا عبدالله».

- يا إلهى.. أنا فى حاجة إلى شهرور حتى أصل إلى

مصر . . يا إلهى .

- هذه حقيقة يا مؤمن . .

- سيفوتنى أهم حدث فى حياتى . . سيضيع علىّ هذا الشرف، فكر معى يا عبدالله ولا تتحدانى .

- ليس هناك إلا أن أحملك متعلقًا بقدمى حتى أصل بك إلى هناك فى ثلاثة أيام .

- ماذا؟ . . هل تريدنى أن أتعلق برجليك لمدة ثلاثة أيام؟ هذا عين الحمق . . بالرغم من أننى أعترف بقدرتك على ذلك إلا أن ذراعى لا تقدران على ذلك لساعات قليلة .

- هذا هو الحل الذى أملكه يا صديقى . . ابحث لك عن حل آخر .

وقف مؤمن وهو يكاد يبكى .. حائراً، يدور حول نفسه .. التفكير فى الجهاد والرغبة الصادقة فى مشاركة المسلمين فى هذا العمل المقدس شتت قدرته على التفكير فى حل يوصله إلى هناك .

وتذكر حال صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يريدون الخروج معه فى إحدى الغزوات لمشاركته وبقيّة المؤمنين فى الجهاد فى سبيل الله ببذل النفس والقتال .. فلما اعتذر لهم الرسول ورفض أن يأخذهم معه وقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه .. أى ما يركبونه فى الطريق الطويل إلى موقع القتال .. تولوا .. أى رجعوا وأعينهم تفيض من الدمع .. بكوا وهم فى أشد حالات الحزن .. وبكى مؤمن وتمنى لو طار إليهم حتى يلحق بهم، وأشفق عليه الصقر عبدالله فبكى هو الآخر وقال:

- والله يا مؤمن.. أنا أشد منك رغبة في الجهاد وإعادة
المسجد الأقصى وبيت المقدس إلى المسلمين..
وأخشى أن تلك الرغبة الجامحة تحملنى على تركك
يا صاحبي هنا والله يعينك.. ولتخلف أحدنا أفضل
أن نتخلف سويًا.. ماذا قلت؟

أمسك مؤمن به من كتفيه وعيناها تغروران
بالدموع وقال:

- الحق معك يا عبدالله.. اذهب أنت ولا يعوقك
واجبك نحوى عن القيام بالواجب الأعظم.

رفرف عبدالله بجناحيه وارتفع فى الهواء وترك مؤمنًا
مطرًا يفكر بعمق، ولم يشأ أن يرحل بسرعة، بل ظل
يحوم حوله فى السماء عسى أن يصل إلى حل
مناسب.. فلما لم يجد لديه شيء غير الإطراق والحزن

ضرب الهواء بشدة وشرع ينطلق نحو الأفق البعيد . .
 لكنه نظر خلفه ليلقى على صاحبه نظرة قد تكون هي
 الأخيرة فوجده يجرى ويتعثر فى الأحجار والأشجار
 وهو ينادى عليه بصوت لا يصل إليه . . فاستدار مسرعاً
 وعاد لصاحبه ثم حط أمامه فوجده يلهث من شدة
 الجرى وكان يقول:

- الحمد لله . . الحمد لله . . كيف كنت ستتركنى يا
 عبدالله وأنت الحل الوحيد .

- أنا؟ . . كيف . . هل وافقت أن تتعلق برجلى .

- لا . . انتظر حتى ألتقط أنفاسى وأخبرك بالفكرة
 لاشك أنها ستعجبك .

مضت على حوارهما ساعة ومؤمن ينطلق فى

الأرض يبحث عن الألياف الخشبية الخفيفة ويجمعها ..
حتى جمع كومًا كبيرًا ثم أخذ يمارس صنعته وصناعة
أمه .. فصنع سلة صغيرة ومتينة وأضاف إليها الأربطة
الشديدة ثم قال لعبدالله :

- والآن يا صديقي .. هذه السلة خفيفة جدًا ..
مارأيك؟

- فلنجرب إذن يا مؤمن .

قام مؤمن بربط طرفي التعليق برسغى الصقر ربطًا
محكمًا ثم قفز بداخلها وأخذ جعبته معه وكيس حاجاته
الخاصة وقال له :

- والآن يا صديقي .. أرنا ما لديك ..

رفرف الصقر القوى بجناحيه بشدة وصاح :

- يا رب يا قوى ..

وشيثاً فشيئاً أخذ يرتفع فى الهواء حاملاً سلة الألياف
وبها صاحبه الحبيب، وصاح مؤمن بعد أن بلغ العنان:

- اللهم لك الحمد.. اللهم لك الحمد..

ونظر تحته إلى الأرض بجمالها وبهائها وسبح الله
على قدرته الفائقة.. وكان ممسكاً وهو قاعد بحافة السلة
ويمد رأسه خارجها يستمتع بما لم يستمتع به أحد من
أهل زمانه.. وكان عبدالله لا يكل.. يدفع الهواء
بجناحيه فكأنه يسبح فى بحر سلس الأمواج.. وعندما
يريد الراحة يفردهما ويترك موجة الهواء تحمله وحدها
مسافات شاسعة.. إلا أن ذلك كان يسبب الهبوط كثيراً
لأسفل مما يدفع مؤمن للشعور بالخوف.. وأخذ يسأل
نفسه: ماذا لو سقطت أو انقطعت الخيوط.. فأخذ

يدعو الله أن يصل بسلام إلى الأرض الحبيبة . . وأخذ
عبدالله ينطلق حتى مضى الوقت المحدد للرحلة وكان
مؤمن يشكل ثقلًا كبيراً عليه لكنه تحامل وتقوى بالله
حتى لاحت اليابسة وصرخ مؤمن :

- مصر . . ها هي مصر يا عبدالله . . انظر إلى سيناء
والبحر الأحمر، إنه لمنظر رائع . . يا إلهي . . كم
خلقت فأبدعت يا رب الكون العظيم، وبمجرد المرور
فوق الشاطئ أحس عبدالله بقرب الوصول فتحمس
وزادت قوته وضرب الهواء بشدة حتى وصل إلى
مصر وهبط بمؤمن وسط ديارها الحبيبة .

وفي الشارع نزل مؤمن من السلة وفك أربطتها من
قدمي عبدالله ثم أطلقه في الهواء بعد أن شكره وقال
له :

البطل العظيم



- أشكرك يا صديقى الحبيب . . والآن أنت حر فى السماء لكن لا تبعد عينيك عنى فأنا دائماً فى حاجة إليك .

طار عبدالله يبحث عن المأوى والغذاء فى هذه البلاد . . أما مؤمن فقد وجد حركة غير عادية بين الناس . . فهناك نشاط ملحوظ وصخب يملأ الشوارع .

أناس يروحون ويجيئون وخيول تنطلق هنا وهناك . . أخذ يجرى حتى يصل إلى بيته . . فلما رآه وقد كانت غيبة طويلة . . خشى على أمه أن يكون قد أصابها مكروه فى هذه الغيبة . . فدخل من فوره فوجدها تقف فى صحن الدار تحلب بقرة لها . . فلما رآته صرخت من الفرح فجرى إليها وعانقها عناقاً طويلاً وأخذ يبكى، وهى أيضاً لم، يتبين كلامها بسبب البكاء . . وجلست

معه على الأرض، وأخذ كل منهما يمسح دمع الآخر وهو يتسّم:

- غبت عني يا مؤمن.. غبت فترة طويلة.

- عذراً يا أمي.. لكنك في القلب كل حظة.. كنت مقصراً في حقك فسامحيني.

- سامحتك يا مؤمن مادمت يا ولدى تجاهد في سبيل الله وتبذل جهدك إحقاقاً للحق.

دخل مؤمن فاغتسل وبدّل ملابسه وجلس في جلاببه الأبيض في حوش البيت بجانب الزروع الجميلة التي تهتم بها والدته وترعاها بعد أن تناول طعاماً لذيذاً هو أحب إليه من كل طعام يأكله في مغامراته لأنه طعام أمه.. وأحضرت له أمه الشاي فكان مع هذه الراحة

الطيبة والاستقبال الجميل عقله غير مرتاح ويريد أن يسأل عن حقيقة خبر عبدالله فقال لأمه والشمس تميل إلى الغروب:

- أماه.. ماذا يجرى فى البلاد؟

- ألا تهذا قليلاً يا ولدى؟.. انتظر حتى تقضى معنا يوماً أو يومين ثم استكمل مغامراتك.

ضحك مؤمن من كلام أمه وقال لها وهو يربت على ظهر كفها:

- أعدك يا أمى أن أبقى معك حتى تأمرينى بالخروج.. لكننى أريد أن أعرف سبب هذه الحركة الغريبة فى شوارع البلد.

- إنها الحرب يا مؤمن.. لقد أرسل الناصر صلاح

الدين من الشام فى طلب جيوش مصر من أجل
فتوحاته هناك . .

- ألم يأت شىء بخصوص بيت المقدس .

- بيت المقدس؟! لا حول ولا قوة إلا بالله . . إنه على
عهده منذ زمن يا مؤمن . . فى أيدى الفرنجة
الصليبيين . . لقد استعظم على كل فاتح . . وحصنوه
بالجيوش والعتاد وأحاطوه بالأسوار والأبراج، ولا
أدرى متى يعود إلينا .

- إذن هذه الحشود ليست من أجل المسجد الأقصى .

- لا أدرى يا مؤمن يا ولدى . . لكن علمى أن صلاح
الدين لم يكن ليفعلها إلا إذا أحكم قبضته على كل
الشام . . لكن الأمر قد فدح يا ولدى والصبر قد
نفد . . ولا أدرى كيف ينام المسلمون فى بيوتهم

مطمئنين ومسجدهم تطؤه حوافر خيول الكفار
والمشركين؟ والله لو ظللوا هكذا على حال الذل
والمسكنة والضعف والخزى لهانوا على الله كما هان
عليهم مسجدهم ولاكلهم عدوهم كما أكل أهلهم
في فلسطين فلم يتحركوا من أجلهم.

تنهد مؤمن وقام كأنه لا يقوى على الجلوس وأخذ
يمشى فى حوش الدار وينظر للسماء الملبدة التى تهجرها
الشمس ويقول:

- أين أنت يا رسول الله.. أين أنت لترى مسجدك يُعبد
فيه الصليب.. أين أنت يا رسولنا لترى مسراك إلى
السماء قد تدنس بالنجس.. أين أنت يا رسول الله
لترى المسجد الذى وحدت الله فيه فى قبضة من
يقولون إن الله ثالث ثلاثة؟.. أين أنت يا حبيبى؟..

أين زمنك وعصرك؟ أين رجالك الذين كانت تهون الدنيا عليهم؟ الذين كانوا لا يُغمض لهم جفن حتى يرفعوا راية النصر أو الشهادة.. ماذا تفعل أيها السلطان الناصر صلاح الدين الآن؟

خشت أمه عليه من الحزن فقامت إليه وأمسكته من كتفيه وعادت به تجلسه فى مكانه وهى تقول:

- اسمع يا مؤمن.. ما كان شىء أحب إلىّ يا ولدى من أن تبقى معى لأيام قليلة بعد طول بعادك عنى.. لكن كلماتك تلك جعلت حب الله ورسوله فوق كل حب.. وأنا لا أطلب منك.. بل آمرك أن تخلع هذا الجلباب الفضفاض وأن ترتدى ثياب المغامرة قبل أن أغسلها لك، وتقلد سيفك وتأخذ جوادك وتخرج إلى الشام فتكون فى صف العسكر ولو تلقى حجراً فى وجه الفرنجة ساعة الحرب.

فرح مؤمن بأمه أيما فرح وارتمى من حُصنها يغمرها بالقبلات، وعاد الدمع القريب ينهمر، وما هي إلا دقائق حتى كان بعد أن ودعها - يقفز على جواده وهو يصرخ:

- حى على الجهاد.. حى على الجهاد.

لم يكن مؤمن وحده على الطريق.. فهناك عساكر ترتحل كل يوم من مصر لتقوية جيوش صلاح الدين فى الشام.. فكان ذلك مما يؤنس وحدته.. فكلما تعب وأراد الراحة وجد كتيبة أو سرية مصرية فقضى معهم وقت الراحة ثم استأنف الرحلة.

وعبر سيناء فى سرعة ودخل إلى الشام بعد فترة من الزمن وأخذ يسأل عن جيوش السلطان الناصر صلاح الدين.. حتى كأنه يطارده.. لكنه ما أن توغل فى



الشمال حتى أتت الأخبار لتقول بأن السلطان فى مرض الموت، ولم يصدق مؤمن ذلك وأخذ يقول للناس:

- لا تصدقوا هذه الإشاعات.. إنها إحدى وسائل الحرب.. عندما يشيع الكفار أن سلطانكم قد مات فهم يرومون زعزعة ثقتكم بأنفسكم وحملكم على الهزيمة.

لم يسمع أحد له، وبدأ مع الوقت يكاد يصدق ما قيل.. وأتى رجال يؤكدون أن السلطان صلاح الدين قد مرض مرضاً شديداً وأنه يحتضر.. وأنه سيسلم الروح فى بلد تسمى حرّان.. ادعو للسلطان بالنجاة.

أصيب مؤمن بحزن شديد ومشى بجواده حزينا يزرف الدمع على أمل المسلمين.. كان يعرف أن الزمان لا وجود بمثل هذا الرجل إلا نادراً.



وتملكته بعد ذلك رغبة شديدة فى إلقاء نظرة أخيرة ووحيدة على السلطان.. . واندفع ينطلق بجواده يسابق الزمن فى طريقه إلى حران.. . فوصل إليها وهو يكابد الجوع والعطش لكن كل ذلك لم يشغل باله.. . فلما رأى العسكر والجنود المحتشدة والمعدات الحربية، تمنى لو أن ذلك يكون فى فتح بيت المقدس.. . وتقدم بجواده بين الخيام ورأى جمعاً كبيراً حول خيمة القائد.. . كان الوجوم على وجوههم والحزن يملأ صدورهم.. . وقبل أن يتقدم منعه، إلا أن يترجل عن جواده، فلما نزل عنه منعه من الدخول على السلطان، لولا أن شاباً برتبة كبيرة عرفه فصاح بهم:

- اتركوه.. . إنه البطل مؤمن.. . ألا تعرفوه؟

وكان هذا الشاب معروفاً لمؤمن أشد المعرفة، فقد

تعانقا عناقًا طويلًا:

- أحمد.. لا أصدق نفسي.. أنت؟

- كدت أجزم بأنني لن أراك ثانية يا مؤمن..

- ياه.. لقد مضت فترة طويلة منذ التقيتك آخر مرة..

- نعم.. كان ذلك في مغامرة الزهرة القاتلة.. ومن

قبل.. أتذكر أول لقاء لنا كان في مغامرة مدينة

الموتى.. ذكريات جميلة يا مؤمن.. مرحبا بك.

فرح مؤمن بأحمد صديقه القديم أيما فرح خاصة وأنه

في مغامرة الزهرة القاتلة استطاع أن ينقذه من الإدمان

الذى كان سيدمر حياته، وها هو يراه قد عاد رجلاً

صالحاً وجندياً قوياً برتبة كبيرة في جيش صلاح الدين،

فحمد الله على ذلك.

- تعال يا مؤمن نتمشى قليلاً.
- هل حقًا ما أشيع عن مرض السلطان؟
- نعم . . للأسف . . إنه يحتضر يا مؤمن الآن . . وقد طلب منه القاضى الفاضل أن يترك وصيته .
- يا إلهى . . ألهذه الدرجة؟ . . ألم يعالجه طبيب؟ . .
- ألا يجدى معه أى دواء . . أريد أن أودعه يا أحمد . .
- هل تقدر على إسداء هذه الخدمة لى .
- بكل تأكيد بإذن الله . . تعال معى .

دخل مؤمن فى رفقة صاحبه الضابط الهمام إلى خيمة السلطان الكبيرة . . حتى وصلا إلى مخدعه وكان حوله أناس كثيرون من أقاربه، والجميع فى حالة من الحزن البالغ، وشق مؤمن طريقه بينهم حتى أصبح ليس

بينه وبين السلطان شيء . كان السلطان يتألم بين الحين والحين ويصدر (آهة) عظيمة تهز الحاضرين . . أما الطبيب فكان لا حول له ولا قوة، وقال القاضي الفاضل وهو أحد المقربين للسلطان والمخلصين للإسلام:

- قل يا سلطان البلاد وصيتك قبل أن تلقى وجه ربك الكريم.

لكن مؤمن قاطعه على الفور:

- يجب يا سيدى على هذا الطبيب أن يفعل شيئاً . . وإلا أحضرنا له طبيباً آخر.

ابتسم الطبيب خجلاً وقال:

- عذراً إذ إنه ليس هناك طبيب غيرى فى هذا البلد . . لكن ما فائدة ذلك إذا أحضرنا طبيباً آخر . . فلا أجد

أى أمل فى شفاء السلطان.. غير أن أمهر الأطباء
فى حلب والمسافة كبيرة بيننا وبينها، فإذا ذهب من
يحضر الطبيب فقد يستغرق ذلك وقتاً طويلاً لن
يتحملة جسم السلطان المنهك.

استدار مؤمن للحضور وقال:

- إذن مازال هناك أمل فى شفاء السلطان.. سأحضر
لكم طبيب حلب فى الحال.

ظن الناس أن مؤمن غلام مخبول أو أن به مساً من
الجن وتقدم ضابط كبير ليقبض عليه:

- من أنت وكيف دخلت هنا.. سأقبض عليك بتهمة
التجسس وانتهاك حرمة السلطان والاستهزاء به وبنا
فى مرضه.

لكن أحمد قام بالدفاع عن مؤمن فى الحال . . فلما رأى السلطان ذلك أشار لهم أن يتركوه وقال له :

- لقد سمعت عنك يا مؤمن وعن مغامراتك . . لكن لا أصدق مع ذلك أنك يمكن أن تحضر الطبيب من حلب حتى هنا فى الحال .

- بل يمكننى بعون الله يا سيدى السلطان . . وبإذن الله تعالى سيكتبُ لك الشفاء وتعود لانتصاراتك العظيمة . .

هز السلطان رأسه وقد تعذر عليه الكلام . . لكنه استجمع قوته وقال :

- والله لئن شفى الله لأجاهدن فى سبيل الله لتحرير القدس حتى الموت .

وهنا انطلق مؤمن ومعه الطبيب خارج الخيمة ثم قال له :

- قل لى أين هو فى حلب . . أعطنى أوصافه وعنوانه وكل ما تعرفه عنه .

وعلى الفور - بعدما حصل على المعلومات الكافية عن طبيب حلب الماهر . . اعتلى حصانه وتبعه أحمد هو الآخر حتى أخذ يعدو خلفه . . وتوجه مؤمن إلى أعلى ربوة فى المكان وصرخ ينادى :

- يا عبدالله . . يا عبدالله . . يا عبدالله

وفوجئ أحمد بالصقر الكبير وكأنه شق السماء وهبط على ذراع مؤمن وأخذ مؤمن يهمس فى أذنه :

- هذه هى كل المعلومات عن هذا الطبيب . . أريده هنا فى خلال ساعة .

- بل قل لحظات يا صديقى . . إلى اللقاء .

وقف مؤمن يشيخ عبدالله بعينه، أما أحمد فكان فى غاية الدهول والدهشة :

- مؤمن . . من أين أتيت بهذا الصقر وماذا قلت له؟

- هو هدية من فتاة مسلمة بالغرب، وهو كما ترى له قدرات خارقة للعادة .

خلق عبدالله فوق حلب حتى عرف من أين يأتى بهدفه، وكان الطبيب المشهور فى معمله يقوم بتحضير بعض الدواء، فإذا بصقر كبير يدخل له من النافذة . . كان الطبيب خفيف القلب فأغشى عليه فى الحال من المفاجأة، وحاول عبدالله وهو يقفز فوقه أن يوقظه فلم يعرف، فقبض عليه من ملابسه من خلفه ثم عبر به

النافذة وطار يحمله محلّقاً فى السماء حتى أفاق الرجل من لفح الهواء، فلما رأى أنه يطير فى السماء عاد فأغشى عليه من جديد.. لكن ما هى إلا لحظات حتى رأى مؤمن وصديقه أحمد أن عبد الله قد نجح فى مهمته.. فها هو يحط أمامهما بالطبيب الشيخ.. فلم يتوان مؤمن، فحمل الطبيب على جواده وانطلق به نحو خيمة السلطان فأفسح له الجميع ودخل به إليه، فلم يصدق كل الحضور أن هذا قد حدث.. وقام طبيب السلطان بإسعافه حتى فاق.. فقام مندهشاً لما جرى له.. لكن حالة السلطان لم تمهله أو تمهل أحداً أن يسأل عن كيفية حدوث ذلك، فأمر بإحضار بعض الأعشاب على الفور وقال:



- الحمد لله .. لو تأخر السلطان إلى الليل لما كان يجدى معه علاج.

شجعت هذه الكلمة الحضور ورفعت من معنويات الناس، ورغم هذا فقد زاد القلق وأحضروا له كل ما طلبه من أعشاب وحبوب وسوائل، ثم صنع دواءً وسقاه للسلطان وقال:

- فلنتظر حتى الفجر فإذا كُتب له عمر جديد وإلا ..

ظل الناس كلهم فى المعسكر وما حوله من أهل القرى يبتهلون إلى الله ويتضرعون له بالدعاء أن يشفى السلطان الناصر صلاح الدين ويعيده سالمًا غائمًا إلى مكانه فى صدارة القيادة .. ولما اقترب الفجر أخذ الدواء مفعوله يتزايد وأخذت السلطان رجفة تلو أخرى وكان

يلهث كمن يجرى وتعلقت بوجهه الأبصار وترقبت
الصدر الحدث، ولما رفع الطبيب ذراعه لهم وهم
سكوت، كأنه يدعوهم لمزيد من الصمت حتى كتم
الأنفاس، فتح السلطان عينيه ونظر فيهم فظنوا أنه
يودعهم الوداع الأخير.. لم يخفض الطبيب ذراعه
بعد.. لكن السلطان أخذ شهيقاً عميقاً ثم نظر حوله
مرة أخرى ثم قال:

- أنا جائع.. أريد طعاماً ساخناً.

ثم استند على مرفقيه بقوة واهنة لكنها غير معهودة
به في تلك الحال ثم اعتدل جالساً وقال:

- الحمد لله.. أشعر أن الله شفاني وعافاني.

وهنا هاج الجميع في الخيمة وانتشر الخبر كالنار في

الهشيم . . وعلت صيحات الفرح وأخذ الناس يوزعون الحلوى ابتهاجاً بسلامة السلطان ولم يطمئن الجميع إلا عنها قام السلطان صلاح الدين فى اليوم التالى واعتلى جواده وطاف فى الأنحاء والناس مبتهجون ويدعون له بالنصر . . فلما عاد إلى خيمته وقضى فترة النقاهة واستعاد قوته طلب استدعاء مؤمن :

- لقد سمعت عن مغامراتك وبطولاتك لكننى مازلت حائراً فى الكيفية التى أحضرت لنا بها طيب حلب فأنقذ حياتى، وأريد أن أعرف السر عسى أن ينفعنا فى حربنا القادمة .

- سيدى السلطان . . ما هو إلا صقر كبير أستطيع أن أتفاهم معه .



- صقر كبير هو الذى حمل الطيب؟! شىء عظيم يا مؤمن.. هذا سينفعنا كثيراً.

استدعى مؤمن صقره عبدالله ثم أرسله إلى بيت المقدس ليدرس ويستطلع كيف تكون تحصينات العدو، وعاد الصقر مكلاً بالنجاح فى مهمته، إذ عرف السلطان كل ما كان يريده عن العدو وطلب من مؤمن أن يكون قريباً منه هو والصقر.

وأحس مؤمن أن ذلك شرفاً كبيراً له.

وما هى إلا أيام حتى أعلنت جيوش السلطان تحركها لنجدة المسجد الأقصى واستدعى السلطان صلاح الدين كل الجنود من كافة أرجاء المعمورة الذين كانوا تحت إمرته وتطوع معه كل من كان يهيمه أمر القدس وفلسطين.

وبلغت حشود الجنود فى تلك الأيام درجة لم تبلغها من قبل وتقدمت جيوش المسلمين نحو حلب ثم إلى دمشق.. وهناك جاء عبدالله إلى مؤمن فأخبره بشيء مهم فسارع إلى السلطان:

- سيدى السلطان صلاح الدين.. إن جيوش الفرنجة اتحدت.. لقد أتى عبدالله من هناك الآن وأخبرنى أن الفرنجة قد تصالحوا بعد الخلاف، وأنهم اتحدوا معا ليواجهونا.

وهنا صاح صلاح الدين:

- تقدموا أيها الجنود نحو طبرية.. تقدموا فإن الجنة تحت ظلال السيوف.. وتقدمت جيوش المسلمين وانضم إليها فى الطريق ما كان متفرقا عنها واتجهوا نحو بحيرة طبرية فاحتلوها وغنموا ما كان حولها من

ثمار وغذاء، وعند قرية حطين عسكر الجنود وهى
التى يقال إن بها قبر نبي الله شعيب عليه السلام،
وهناك تقابل الجيشان.. جيش المسلمين وجيش
الفرنجة الملاحين.

وأصبح كل جيش يقف قبالة الآخر على مسافة
كبيرة.. وتقدم مؤمن فى هذا الجو العصيب من
السلطان وقال له:

- سيدى.. أرى أن فكرتك باحتلال البحيرة قد تؤتى
ثمارها الحقيقية الآن.. هذه الأيام الحر شديد..
ولدينا البحيرة وليس لديهم ما يكفيهم من الماء.
ابتسم السلطان وقال:

- أنت تفكر بنفس عقليتى يا مؤمن.. ليت كل

المحاربين مثلك . . نعم لن نتلاحم معهم الآن ولا غداً حتى يذوقوا طعم الجوع والعطش وحتى تسلبهم الشمس والحر آخر قطرة ماء فى أجسادهم، فإذا لقيناهم وقعوا تحت أقدامنا كالفراش المبعوث، ومر الليل الطويل وقادة الفرنجة يذوبون قلقاً منتظرين اللحظة التى يهجم فيها صلاح الدين على جيوشهم لكنه تريت وتركهم فريسة القلق، وبقي صامداً وبقيت الصفوف طوال الليل على حالها، ومؤمن وأحمد يتجولان بينهم يشدون من أزهرهم ويذكرونهم بالجنة وبعودة المسجد الأقصى . . وأصبحت اللحظات حرجة . . وظن قادة الفرنجة أن صلاح الدين سيهجم عليهم مع أول ضوء فى الصباح ولذلك أخذوا يحفزون الجنود ويشيرون فيهم نكرة الدين حتى لا ينام أحدهم.

ولكن أتى الصبح ومرت ساعاته الحارقة ولم يهجم
صلاح الدين وتركهم إلى لفح الظهيرة حتى تسويهم
الشمس.

واشتكى الجنود من العطش.. فالسماء تلهب
ظهورهم ورءوسهم والماء قد عز وجوده، ولكن صلاح
الدين اجتمع برجاله فى الخيمة وطلب أن يصدر قائد
الرماة أمراً لهم بأن يقذفوا الفرنجة بزجاجات النفط
الحارقة.. وكان أحمد ومؤمن يتجولان للمراقبة فقال
مؤمن:

- انظر لقد استعد رماة النفط.. السلطان يستخدم آخر
ما وصل إليه العقل البشرى فى أساليب الحرب.
- كيف ذلك؟ هل سنحرقهم بهذه الطريقة؟ إنه هراء.
- دائماً أنت متعجل يا أحمد.. انظر إلى الأرض التى

تحت أرجلهم .. إنها عبارة عن عشب جاف تمامًا
ولقد أصبح هشيمًا بفعل سنابك الخيل وحركة
الجنود .. لن يحرقهم، وإن فعل لكنه سيزيد من
تعذيبهم.

- كيف ذلك؟

- سيجتمع عليهم الحر والعطش والحشيش المشتعل.

- يا إلهي .. حقًا إنها لحظة بارعة .. سوف يموتون
عطشًا في مكانهم أو يجبروا على أن يبدأوا هم
بالهجوم.

- وها هي الحرب تبدأ بهدوء.

أخذ الرماة يرمونهم بالوقود المشتعل حتى أحالوا
معسكرهم إلى جحيم مقيم وبدأ رماة النبال عملهم

وصاح السلطان فى تلك اللحظة:

- الله أكبر.. الله أكبر.. كبروا أيها الجنود.. كبروا
وأنتم تهجمون عليهم.. الله أكبر.

النصر أو الشهادة، هذان هما ما يرجوه أى مقاتل
مسلم فى أى زمان ومكان، مادام يقاتل فى سبيل الله
ودفاعاً عن الدين والعرض والأرض والمال.. النصر
الطيب وإلا الموت.. وكل مؤمن يعلم أن الذى يموت
فى الحرب يكون شهيداً وأن الشهيد لا يموت فى
الحقيقة.. يحسبه الناس كذلك لكنه يعيش حياً عند ربه
ويرزق أيضاً.

كان منظرًا مهيبًا.. تعالت الصيحات والتحم الجيشان
جيش الحق وجيش الضلال.. وكان هو يوم الحر

الأعظم على الأعداء عندما اجتمع عليها حرُّ الشمس
وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال .

وكان النصر المؤزر للمسلمين من عند الله في هذه
الموقعة التي سميت موقعة (حطين) واندحر الفرنجة ثم
هرولوا مخذولين وعادوا يحتمون بأسوار القدس .

وخرج مؤمن من بين الصفوف بعدما أبلى بلاءً حسنًا
وهو يرى أحمد يطارد فلول الفرنجة فتبعه وكان لمطاردة
الهاربين نشوة عظيمة ولما تعبوا وأصبحا وحدهما في
الميدان وقفا يلهثان وبعض الجروح تزين جسميهما :

- الحمد لله . . لكنى لم أر عبدالله أثناء القتال يا مؤمن .
- علمت أن السلطان قد أرسله إلى القدس ليأتى لنا
بأخبارها قبل أن نفحتها ، ولم يتم مؤمن عبارته إلا
وعبدالله يأتى لاهثًا :

- الحمد لله أننى قد عثرت عليكما . . هناك كمين أُعد للمسلمين . . هل أبلغ السلطان الآن؟

قال مؤمن:

- قل لنا ماذا رأيت يا عبدالله . . ولا تخبر السلطان الآن . . فمئذ يومين أنا وأحمد نطاردهما بقى من جنودهم ولا بد أن السلطان قد تحرك الآن لدخول القدس فأخبرنا عسى أن نفعل شيئاً.

- هناك طريق يشرف عليه جبل لا بد من مرور المسلمين فيه . . ولقد رأيت سرية من جيش الفرنجة قد أعدت حاجزاً من الأخشاب فوق الجبل يحجز تلاً من الصخور والحجارة ولا شك أنه عند مرور المسلمين سيفتحون هذا الحاجز الخشبى ليحطموا جيش صلاح الدين أو على الأقل يسدوا عليه الطريق.

قال أحمد:

- مؤمن.. أرى أن نجتهد في إجهاض هذا الكمين..
نريد أن يكون الطريق أمام السلطان وجيش المسلمين
آمنًا.

- نعم.. فلو أننا أخبرنا السلطان فلن يفعل سوى أن
يرسلنا في ذلك.

قال عبدالله:

- معذرة لن أكون معكما فأنا لدى مهمة في القدس
ويجب أن أتمها.

عرف مؤمن وأحمد مكان الكمين بالتحديد فشكرا
عبدالله ثم انطلق كل منهما بجواده يعدو خلف الآخر
ومؤمن يصرخ في صاحبه:

- أسرع يا أحمد.. يجب أن نصل إلى مكان الكمين قبل أن يصل إليه صلاح الدين وأعتقد أنه لم تبق سوى ساعة حتى يعبره.

- وكم يتبقى لنا نحن حتى نصل لهذا المكان؟

- إنها ساعة أيضاً يا صديقي.. فيجب أن نسابق الريح.. هيا.. توكلنا على الله

كان الاثنان يحثان الأرض بحوافر الجوادين كي يصلا على وجه السرعة فكانا يسابقان الزمن.. وبعد قليل رأى أحمد على مرمى البصر جهة اليمين غباراً كثيفاً:

- هناك يا مؤمن.. هناك.. صلاح الدين يتجه إلى القدس.. يا فرحة المسلمين.

- أسرع يا أخى أسرع.. يجب أن نصل قبلهم.



البطل العظيم



كانت سرية العدو رابضة فوق الجبل . . فلما اقترب وصول الهدف انسحبوا من المكان وتركوا ستة أفراد فقط ليقوموا بالمهمة.

وكان مؤمن ينطلق وأحمد وراءه كأنهما قذيفتان تخلف وراءهما غبارا كثيفا . . وكان عليهما الوصول قبله بوقت كاف حتى ينقذا المسلمين من الخطر الماحق، ولاح الجبل من بعيد فدق قلبُ مؤمن وأحس بمدى المسؤولية الملقاة على عاتقه، أما أحمد فكان فرحاً بنشوة الجهاد . . وكأنه يرى اللجنة بعينه .

وما هي إلا دقائق حتى كانا تحت الجبل يربطان الجوادين إلى صخرة ثم أخذوا يتسلقانه بخفة الطير وقوة الأسود . . ولم تكن هناك أى فرصة للتروى أو التردد، يجب أن يتم كل شئ بسرعة غير عادية .

كان الجنود الأعداء الستة عبارة عن ضابط وخمسة أفراد مسلحين. . الضابط يقف على صخرة منفردة يراقب وصول جيش صلاح الدين والجنود الخمسة لحراسة الكمين، ولكن واحداً منهم يجلس ممسكاً بذراع خشبية إذا جذبها بقوة انفتح الحاجز الخشبي فتنهمر الصخور والحجارة كأنها سيل العرم.

ولم يدر أحد منهم أن مؤمناً وأحمد يراقبان كل شيء بعيون فتاة. . أشار مؤمن بعينه لأحمد أن يتولى أمر الرجل الذى يمسك الخشبة فاندفع أحمد كالفهد فقفز من موقعه وجرى ناحية الجندي الغافل فطوح رأسه بالسيف ووقف مكانه يدافع عن هذه الخشبة المدمرة. . أما مؤمن فقد قفز إلى الضابط، فلما تنبه له وأراد أن يسحب سيفه إذا به يغرس السيف فى معدته وتركه والتقى باثنان

مرة واحدة.. كان سيفه فى يديه اليمنى يبارزهما به وفى يده اليسرى درعا كان للضابط المقتول.. أما أحمد فهو الآخر يقاتل رجلين فى وقت واحد.. كان هدف كل منهما أن يقتلا كل من بالموقع أو تعطيل فاعلية الكمين حتى يمر جيش صلاح الدين بسلام.

ورأى مؤمن على مسافة قريبة، الجيش يتقدم فى قوة وسرعة يخشى منها أن تفشل الخطة وينتهى كل شىء.. ولما رأى الجنود الأعداء اقتراب صلاح الدين جدّوا فى المبارزة وحرصوا على قتل أحمد الذى يحرس موقعه.. فترك رجل لزميله مقاتلة مؤمن بمفرده وانضم لزميله ليصبحوا ثلاثة على أحمد الذى كان يقاتل معطياً ظهره للخشبة الملعونة وهو كالمجنون لا يأبه لما يعليه عليه العقل من تصرفات فى هذه الأحوال.

أما مؤمن فقد استطاع أن يتغلب بسهولة على مبارزه.. عندما قطع ذراعه وتركه يتألم أرضاً وانضم إلى أحمد وقاتلا ضد الثلاثة الباقين، واندفع واحد ناحية أحمد ليطعنه بقوة فتتحى أحمد بسرعة ومكر فاندفع الرجل نحو حافة الجبل فكاد يسقط فعالجه مؤمن بركله من قدمه في مؤخرته فسقط من فوق الجبل صريعاً.

وقاتل مؤمن وأحمد قتالاً شرساً، وأصبح النزال رجلاً لرجل.. وترك أحمد موقعه في أثر الذي يقاتله وسحب الجندي الآخر مؤمن بعيداً عن الذراع الخشبية، وكانت الشرارات تنبعث من ضرب السيوف.

ولم يدر أى منهما أن الجندي الذى قُطعت ذراعه يزحف بخبث نحو الذراع الخشبية وهما مشغولان بالمبارزة.. وعندما شعر مؤمن بامتناع الخصم عليه..

قذفه بالدرع فى وجهه فأربكه ثم قفز عاليًا وطوح رأسه بالسيف.. أما أحمد فقد أحس بالتعب من مبارزة هذا الجندى.. لكن مؤمن انضم إليه بسرعة وأصبحا اثنين على واحد. وعلا صوت قدوم جيش المسلمين وارتفع الغبار الشريف إلى السماء وأدرك مؤمن أن الجيش يمر الآن تقريبًا من الممر.. لكن أحمد صرخ فعالجه الخصم بطعنة فى صدره.. فقام مؤمن فى هذه اللحظة بطعن الجندى المتبقى فى بطنه.. لكن أحمد لم يكن يصرخ خوفًا، بل لأنه رأى الجندى المقطوع الذراع يمسك الذراع الخشبية بذراعه السليمة ويحاول أن ينزعها من مكانها حتى سقط الحاجز الذى سيلقى بالوابل الصخرى فوق جيش صلاح الدين.. جرى أحمد مثل أم تحمى ابنها من السقوط من فوق جبل.. اندفع كالمجنون بجرحه

الذى ينزف.. جذب الجندى الذراع الخشبية من مكانها تماماً.. ولم يبق غير انفتاح الحاجز.. لكنه لم يفتح.. لقد تحرك وسقط منه حجر أو حجرين.. لأن الخشبة التى جذبها الجندى الملعون كان مكانها جسد أحمد.

رأى مؤمن أمامه شيئاً لم يره من قبل.. إنه صاحبه وصديقه الحبيب أحمد.. ألقى بنفسه فى مكان الخشبة التى جذبها الجندى ليمنع الحاجز من أن يفتح.. لقد أصبح ثقل كل هذه الصخور والأحجار التى تكفى لتدمير جيش على هذا الجسد الأسمر يعصره عصرًا.. ولولا ذلك لأصبح جيش المسلمين كالعصف المأكول.

وقف مؤمن عاجزاً بعد أن طعنه الجندى اللثيم طعنة قاتلة غاضبة.. وقف ينظر لصاحبه وقد فدى الإسلام بجسده الرقيق.. كم هى مؤلة تلك اللحظات التى يفقد

فيها المرء القدرة على عمل أى شىء أمام حبيب يفقد الحياة.

لا يدرى ماذا يفعل له .. كيف يجذبه من تحت كل هذه الأثقال .. كان أحمد يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو ينظر بوجهه المنتفخ إلى السماء ومؤمن يمسخ فوق جبهته بحنان وحزن عميقين ثم قال بصوت لا يكاد يُسمع :

- وداعاً يا مؤمن .. أ .. أ .. أتعرف يا مؤمن .. ماذا أرى الآن؟ .. أرى .. أرى موكباً من الملائكة قد هبطوا من السماء ومعهم جنود من الجنة ينتظروننى .. لا تقلقوا .. إنى آت إليكم الآن .. أأأ .. هل .. هل تشم رائحة الجنة يا .. يا مؤمن ؟

مرت سحابة حنونة فوق الجبل وتوقفت للحظات ثم

عبرت إلى حيث لا تعود إلى يوم الدين .

مر الجيش بسلام ومؤمن فوق الجبل يراقب الفاتحين
وهم يتجهون إلى المسجد الأقصى . . إلى قبة
الصخرة . . إلى فلسطين . . إلى مهبط الأنبياء ومسرى
الرسول الكريم ﷺ . . كان يبكى وقد اختلطت دموع
الفرح بدموع الحزن . . طوبى لك يا أحمد . . طوبى لك
الجنة أيها الشهيد العزيز، يا رفيق الحياة والمغامرات،
طوبى لك أيها البطل العظيم .

ولم يجد مؤمن لصاحبه قبراً أشرف من هذا
الموقع . . فتزل تحت الجبل وأخذ يرفع إليه أكياس
التراب . ثم صلى عليه ودعا له وللمؤمنين ثم وراه
التراب وعاد من جديد يعتلى صهوة جواده ليلحق
بalfاتحين على أبواب الأقصى وهو يفكر كيف سيقنع أمه

بأنه كان يشم رائحة المسك تنبعث من دماء الشهيد البطل العظيم. فقال في نفسه سأقسم لكل من أراه أننى شممت المسك فى دمه.

وفُتحت أبواب القدس لصلاح الدين ودخل السلطان الفاتح بجيشه العرمرم دون حرب.

والتقت قلوب المسلمين بقلوب إخوانهم أهل فلسطين.. والتقت الأشواق مع الأماكن الحبيبة التى طالما حنت إليها وتمنت رؤيتها.. وعاد الحق إلى أصحابه واندحرت مكائد الفرنجة والصليبيين. وبعد أن شاع الخبر فى أرجاء الأرض سجد كل مسلم شكراً لله على نصرته الإسلام.

وبعد أن أرسى صلاح الدين قواعده وملك زمام الأمور سرح بعضاً من الجيش.

وعاد مؤمن إلى مصر، ليذهب إلى والدته أحمد،
وكله أسف. . كيف سيخبرها بالمصيبة.

فلما وصل إلى الصعيد حيث كان بيته، وذهب إلى
منزله ورأته أمه وحده وكان لا يدرى ماذا يقول لها،
فإذا بها تندفع إليه وكلها فرحة، يتהלل وجهها بالبشر،
فظن أنها لم تفهم بعد لكنها احتضنته وقالت بصوت لا
تعرف فيه الحزن أم الفرح:

- هل فعلها يا مؤمن؟ . . قلبى أحس بذلك يا ولدى
قبل أن تخبرنى. . لكن أريد أن أتأكد. . هل أحمد
الآن فى الجنة يا مؤمن؟ حقًا.

هز مؤمن رأسه وانهمرت عيناه بالدمع. . لكنها
حملته وأخذت تجرى به فى شوارع القرية وهى تزغرد

وتزف البشرى لكل الناس وتقول :

- لقد أفلح ولدى .. لقد أفلح أحمد .. سأقيم الليلة
حفلاً .. أحمد فى الجنة يا ناس .. أحمد أفلح ..
أحمد أفلح .

وصممت الأم أن تعطى مؤمناً جوهرة كان يحتفظ
بها أحمد من الكثر القديم الذى عثرا عليه سوياً .. وعاد
مؤمن يحمل معه أعز جوهرة وأعلى ماسة .. جوهرة
الشهادة

تمت بحمد الله تعالى

